الإيمان بالغيب
وأثره على الفرد والمجتمع

دكتور/ أحمد عبد الحليم محمد جلال
الأستاذ المشارك بكلية الشريعة وأصول الدين
جامعة الملك خالد
والأستاذ المساعد
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين ومن اهتدى بهديه واستن بسنته وسار على نهجه إلى يوم الدين.

وبعد،،،

الإيمان بالغيب هو لب الإيمان وركنه الركين فمن لم يؤمن بالله –عز وجل– وهو غيب يكون أبعد ما يكون من أن يؤمن بحساب وجنة ونار... الخ.

والإيمان بالغيب بهذا المعنى تحكم به بداهة العقل فلا يستطيع أن ينكره إلا من حرم نعمة العقل، فالعقل لا يستسيغ أبدًا أن ينفض سوق هذه الحياة وقد نهب فيها من نهب، وسرق فيها من سرق، وقتل فيها من قتل، وبغي فيها من بغي، وتجبر فيها من تجبر، ولم يأخذ أحد من هؤلاء عقابه بل تستر واختفى فأفلت ونجا... أو تمكن بإخضاع الناس له بسيف القهر والجبروت، وفي الجانب الآخر: كم أحسن قوم وجاهدوا ولم ينالوا جزاء ما قدموا؟ إما لأنهم كانوا جنودًا مجهولين، أو لأن الحسد والحقد جعل الناس يتنكرون لهم بدل أن يعرفوا فضلهم أو لأن الموت عاجلهم قبل أن ينعموا بثمرة من خير... ألا يسيغ العقل بل يطلب أن توجد دار أخرى يجازى فيها المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته:

وللإيمان بالغيب على هذا النحو أثره وثماره التي تظهر واضحة جلية على الفرد والمجتمع كما ستبين من خلال هذه الدراسة التي عنيت بالحديث عن آثار الإيمان بالغيب على الفرد والمجتمع.

وقد جاءت الدراسة في مقدمة وفصلين وخاتمة.

أما المقدمة فتتضمن الحديث عن أهمية الموضوع وخطته.

وأما الفصل الأول: فجاء بعنوان (مفهوم الإيمان بالغيب وحقيقته).

ويتضمن النقاط الآتية:

أولًا: مفهوم الإيمان في اللغة والاصطلاح.

ثانيًا: مفهوم الغيب في اللغة والاصطلاح.

ثالثًا: مفهوم الإيمان بالغيب.

رابعًا: أقسام الغيب.

خامسًا: القرآن الكريم والغيب.

وأما الفصل الثاني فجاء تحت عنوان: (أثر الإيمان بالغيب على الفرد والمجتمع.

وتضمن ما يلي:

أ- مفهوم الغيب الذي نعنيه.

ب- أثر الإيمان بالغيب على الفرد.

جـ- أثر الإيمان بالغيب على المجتمع.

أما الخاتمة: فتضمنت أبرز النتائج التي تمخضت عنها الدراسة.

وبعد فنسأل الله –عز وجل- أن يلهمنا الرشاد والسداد وأن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم.

الفصل الأول

(مفهوم الإيمان بالغيب وحقيقته)

ويتضمن النقاط الآتية:

أولًا: مفهوم الإيمان في اللغة والاصطلاح

تعريف الإيمان لغة:

الإيمان لغة: ضد الكفر، والإيمان بمعنى التصديق، ضدُّه التكذيب، يقال آمن به قوم وكذب به قوم.. وآمن بالشيء صدق وأَمِنَ كذب من أخبره(١).

فالإيمان في اللغة هو التصديق مطلقًا قال تعالى: حكاية عن إخوة يوسف: (وما أنت بمؤمن لنا) أي مصدق فيما حدثناك به، وقال عليه الصلاة والسلام: (الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله)، أي تصدق، ويقال فلان يؤمن بكذا أي يصدقه ويعترف به(٢).

تعريف الإيمان اصطلاحًا:

أما تعريف الإيمان اصطلاحًا فقد اختلفت أقوال العلماء في بيان حقيقة الإيمان ومفهومه، وقد أجمل الإمام ابن حزم أقوال العلماء في بيان ماهية الإيمان قائلًا:

((اختلف الناس في بيان ماهية الإيمان فذهب قوم إلى أن الإيمان إنما هو معرفة الله – تعالى– بالقلب فقط، وإن أظهر اليهودية والنصرانية وسائر أنواع الكفر بلسانه وعبادته، فإذا عرف الله – تعالى– بقلبه فهو مسلم من أهل الجنة، وهذا قول أبي محرز الجهم بن صفوان، وأبي الحسن الأشعري البصري وأصحابهما، وذهب قوم إلى أن الإيمان: هو إقرار باللسان بالله –تعالى– وإن اعتقد الكفر بقلبه، فإذا فعل ذلك فهو مؤمن من أهل الجنة وهذا قول محمد بن كرام السجستاني وأصحابه.

وذهب قوم إلى أن الإيمان هو المعرفة بالقلب والإقرار باللسان معًا، فإذا عرف المرء الدين بقلبه، وأقر بلسانه فهو مسلم كامل الإيمان والإسلام، وأن الأعمال لا تسمى إيمانًا ولكنها شرائع الإيمان، وهذا قول أبي حنيفة النعمان ابن ثابت الفقيه وجماعة من الفقهاء.

---

(١) لسان العرب لابن منظور مادة آمن.

(٢)المواقف لعضد الدين الإيجي، ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط أولى ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م، مجلد ٤ جـ ٨ ص ٣٥١.

وذهب سائر الفقهاء وأصحاب الحديث والمعتزلة والشيعة والخوارج إلى أن الإيمان هو: المعرفة بالقلب بالدين والإقرار به باللسان، والعمل بالجوارح، وأن كل طاعة وعمل خير فرضًا كان أو نافلة فهي إيمان، وكلما ازداد الإنسان خيرًا ازداد إيمانه، وكلما عصى نقص إيمانه(١).

ثانيًا: مفهوم الغيب في اللغة والاصطلاح

تعريف الغيب في اللغة:

الغيب لغة: كلُّ ما غاب عنك، والغيب أيضًا ما غاب عن العيون، وإن كان محصلًا في القلوب.. وغاب عني الأمر غَيْبا، غِيابًا، وغَيْبَة، وغَيْبُوبة، ومَغابا، ومَغيباً.. وغاب الرجل غَيْبًا، ومَغِيبًا، وتَغَيْب سافر أو بان.. والمُغَايبة خلاف المخاطبة.. وامرأة مُغِيبٌ، ومُغْيبٌ، ومُغِيَبة.. غاب بعلها أو أحد من أهلها.. والغَيْبُ من الأرض ما غَيَّبَك وجمعه غُيُوب.. وغيابة كل شيء قعره منه كالجبل والوادي وغيرهما.. والغِيْبَةُ من الاغْتِيَاب، واغتاب الرجل صاحبه اغتيابًا إذا وقع فيه.. والغابة: الأجَمَةُ ذات الشجر المتكاثف، لأنها تُغَيِّبُ ما فيها(٢).

ومن خلال ما سبق نرى أن الفعل غاب ومشتقاته قد استعمل في كل ما غاب عن العين واستتر ثم توسع في استعماله فأطلق على كل ما غاب عن الحاسة وعما يغيب عن علم الإنسان(٣).

تعريف الغيب في الاصطلاح:

عرف علماء الإسلام قدامى ومحدثين الغيب بتعاريف متعددة نذكر منها:

أولًا: تعريف القدامي:

أ- عرفه الراغب الأصفهاني: بأنه ما غاب عن الحاسة وعلم الإنسان.

ب- وعرفه الرازي بأنه: ما غاب عن الحواس.

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم، ط دار الجبل بيروت، ط ثانية ١٤١٦هـ -١٩٩٦م، جـ٣ ص ٢٢٧، شرح المقاصد لسعد الدين التفتازاني، ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط أولى ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م، جـ٣ ص ٤١٧-٤١٩، شرح المواقف لعضد الدين الإيجي، مجلد ٣ جـ٨، ص ٣٥٢-٣٥٣.

(٢) لسان العرب لابن منظور مادة غيب.

(٣) انظر المفردات للراغب الأصفهاني مادة غيب ص ٣٦٦-٣٦٧.

جـ- وعرفه ابن العربي: بأنه ما غاب عن الحواس مما لا يوصل إليه إلا بالخبر دون النظر.

د- وعرفه التهانوى بأنه: الأمر الخفي الذي لا يدركه الحس ولا يقتضيه بداهة العقل.

ثانيًا: تعريف المحدثين:

أ- عرفه محمد فريد وجدي بقوله: الغيب المقابل للواقع، أو خلاف الواقع.

ب- وعرفه الدكتور أحمد الشنتناوي بقوله: الغيب هو ما لا تعتمد في إدراكه على إحدى الحواس.

جـ- وعرفه عبد الكريم عثمان بأنه: ما غاب عن الحس وأدركه الإنسان بتحليله الفكري،أو بالخبر اليقيني عن الله ورسوله، أو بقي سرًّا مكتومًا يعجز الإنسان عن إدراكه ولا يعلمه إلا اللطيف الخبير.

وقد عرض صاحب كتاب الإيمان بالغيب[١] التعاريف السابقة للقدامى والمحدثين ثم ارتضى منها ثلاثًا اعتبرها أفضل التعاريف وهي تعريف الرازي والراغب الأصفهاني من القدامى، ومن المحدثين تعريف عبد الكريم عثمان الذي عدّه تعريفًا نموذجيًّا للغيب مقدمًا إياه على سائر ما ذكر من تعريفات للقدامى والمحدثين لشموله جمع أنواع الغيب كلها، فيدخل فيه الغيب الذي لا يقع تحت الحواس لقوله: ((ما غاب عن الحواس))، والغيب الذي يمكن أن يدركه الإنسان عقلًا كوجود الله لقوله: ((وأدركه الإنسان بتحليله الفكري))، ويدخل فيه أيضًا أنواع الغيوب التي جاء بها القرآن والسنة النبوية لقوله: ((بالخبر اليقيني عن الله ورسوله))، كما يدخل فيه الغيب الذي استأثر الله بعلمه لقوله: ((أو يبقى سرًّا مكتومًا يعجز العقل عن إدراكه ولا يعلمه إلا اللطيف الخبير)).

أما التعاريف الأخرى فلم تسلم من الانتقاد فهي غير جامعة ولا مانعة[٢].

(١) الإيمان بالغيب تأليف يسام سلامة، ط مكتبة المقار ط أولى ١٤٠٣هـ= ١٩٨٣م.

(٢) السابق ص ٩ – ١١ بتصرف.

ثالثًا: مفهوم الإيمان بالغيب

سبق أن وقفنا على المعنى اللغوي والاصطلاحي للفظي الإيمان والغيب كل على حده، ولكن هذه المعاني لهذه الكلمات منفصلة مفردة تختلف عن مفهومها ومعناها إذا أضيفت إلى بعضها وكون منها تركيب ((الإيمان)) و((الغيب)) بعد أن صارتا مركبًا إسناديًا حتى يتضح لنا معناهما الذي يعطي لنا مدلولًا جديدًا ومفهومًا خاصًّا.

فقد اختلف المفسرون في تأويلهم للإيمان بالغيب عند وقوفهم أمام قول الحق سبحانه وتعالى في سورة البقرة عند وصف الله –عز وجل– للمتقين: { الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ} فقالت فرقة الغيب في الآية هو الله سبحانه، وقال آخرون: القضاء والقدر، وقال آخرون القرآن وما فيه من الغيوب، وقال آخرون: الغيب: كل ما أخبر به الرسول مما لا تهتدي إليه العقول من أشراط الساعة وعذاب القبر، والحشر والنشر، والصراط والميزان، والجنة والنار. قال ابن عطية وهذه الأقوال لا تتعارض بل يقع الغيب على جميعها.

وقد عقب القرطبي على هذه الأقوال بعد ذكره لها بقوله:

قلت: وهذا هو الإيمان الشرعي المشار إليه في حديث جبريل عليه السلام حين قال للنبي –صلى الله عليه وسلم– ((فأخبرني عن الإيمان قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال صدقت)) وذكر الحديث. وقال عبد الله بن مسعود: ما آمن مؤمن أفضل من إيمان بغيب ثم قرأ { الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ}وقلت وفي التنزيل {وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ}وقال: {الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ}فهو سبحانه غائب عن الأبصار غير مرئي في هذه الدار، غير غائب بالنظر والاستدلال، فهم يؤمنون أن لهم ربًّا قادرًا يجازي على الأعمال، فهم يخشونه في سرائرهم وخلواتهم التي يغيبون فيها عن الناس، لعلمهم بإطلاعه عليهم، وعلى هذا تتفق الآي ولا تتعارض والحمد لله[1].

ومن خلال ما ذكره القرطبي، وما أورده من أقوال المفسرين لمعنى قوله تعالى: { يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ}.

(١) تفسير القرطبي، ط دار الريان للتراث، جـ١ ص ١٤٢.

يتبين لنا بجلاء ووضوح أن الإيمان ميدانه الغيب فالإيمان لا يكون إلا بالغيب، والشهادة ليست موضوعًا للإيمان لأن الشهادة ليست مجالًا للابتلاء والاختبار، وليست مجالًا يتفاوت فيه الناس بين مصدق ومكذب.

وقد بينت السنة النبوية المشرفة لنا أركان الإيمان بالغيب من خلال قول رسول الله –صلى الله عليه وسلم– عند إجابته سؤال جبريل عن الإيمان: ((الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره)).

فالركن الأول: هو الإيمان بالله –عز وجل– الذي يعد أول الغيب وأصل الغيب كله فهو سبحانه وتعالى ليس من جنس الموجودات، ولا يشبهها، وليس كمثله شيء، وهو السميع البصير.

والإيمان بالله كما ذكر أصل الغيب فهو المنطلق للإيمان بسائر أركان الإيمان فمن يؤمن بالله ربًّا لن يكون هناك مشقة في إيمانه بسائر أركان الإيمان، أما من لم يؤمن بالله – عز وجل– فسيكون أبعد ما يكون من أن يؤمن بملائكة وجنة ونار إلى غير ذلك من أركان الإيمان.

أما الركن الثاني فهو الإيمان بالملائكة فهو أيضًا إيمان بالغيب فهم مخلوقات خلقها الله – عز وجل– ولا يمكننا رؤيتهم على حقيقتهم التي خلقهم الله عليها، كما لا يمكن للعقل أن يحيط بتفاصيل خلقهم وصفاتهم وأحوالهم.

وأما الركن الثالث: فهو الإيمان بالكتب فالمؤمن بالقرآن لم يؤمن لكونه شاهد نزول أمين الوحي على رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فهو غيب أيضًا من هذه الزاوية.

وأما الركن الرابع: فهو الإيمان بالرسل لأن الإيمان بهم ليس مقصودًا به ذواتهم وأشخاصهم وإلا كان من عاصروهم لا يعد ذلك غيبًا بالنسبة لهم، وإنما المقصود بالإيمان بالرسل هو باعتبار وصفهم بالرسالة، وباعتبارهم رسلًا فهذا هو ميدان الإيمان بهم ومن ثم يستوي فيه من عاصرهم ومن لم يعاصرهم.

وأما الركن الخامس: فهو الإيمان باليوم الآخر وهو غيب بداهة.

وأما الركن السادس: فهو الإيمان بالقدر وهو سابق علم الله ومشيئته لما سيكون عليه أمر الكون وهو غيب لم يطلع الله أحدًا عليه[١].

رابعًا: أقسام الغيب

والغيب ينقسم إلى أقسام عدة باعتبارات مختلفة:

التقسيم الأول: باعتبار علمه ومعرفته إلى قسمين:

أ- غيب مطلق وهو الذي لا يقبل أن يكون شهادة ويستوي في عدم إدراكه جميع الناس في

جميع أحوالهم وأزمانهم وأطوارهم، وهذا القسم يشتمل على ما لا يدخل تحت دائرة الحس، وليس من عالم المادة، ولا يستطيع العقل البشري مهما بلغ في درجات الرقي والتقدم أن يدركه.

ولكن مع عجز الإنسان المطلق عن الوصول إلى حقيقة هذا الصنف فإن العقل الإنساني لا ينفي وجوده ولا يحكم باستحالته لأن آثاره بادية ظاهرة لا يستطيع ذو عقل أن ينكرها على الإطلاق.

ويشمل هذا الصنف أركان الإيمان الست الواردة في حديث جبريل في إجابة رسول الله –صلى الله عليه سلم– عن سؤاله عن الإيمان كما يشمل حقيقة الروح مصداقًا لقول الحق سبحانه: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا}فالروح غيب مطلق ومع ذلك لا يستطيع ذو عقل سليم أن ينكرها مع عدم الوقوف على حقيقتها، وإلا حينئذ فإنه ينكر وجوده، ويسوي بين من به حياة ومن هو جثة هامدة.

وهذا الصنف من أقسام الغيب لا سبيل إلى معرفته على جهة التفصيل إلا عن طريق الوحي والرسالات السماوية، أما العقل فإنه أقصى ما يستطيع الوصول إليه في هذا الميدان هو المعرفة الإجمالية.

ب- غيب نسبي أو إضافي لأنه ليس غيبًا في حق جميع الناس، بل إنه غيب بالإضافة إلى بعض الناس، أو في بعض الأزمنة دون بعض.

(١) انظر الإنسان والغيب تأليف د. حبيب حسن أحمد الأستاذ بكلية الدراسات الإسلامية بدون ط ص٥٥، ٥٧ بتصرف.

ويشمل هذا الصنف كل ما من شأنه أن يخضع للتجربة والملاحظة يستوي في ذلك ما كان مدركًا بالحواس أو قابلًا لإدراكه بها، ويندرج تحت هذا الصنف الأرض وما عليها وما في باطنها، والكواكب والنجوم.. وكل ما تصل إليه حواس الإنسان بواسطة أجهزته أو من غير واسطة، كما يدخل في هذا الصنف من الغيب ما يعلمه بعض المخلوقات دون غيرهم، فالجن مثلًا يعرفون أشياء لا نعرفها نحن، والإنسان بالنسبة لغيره من بني جنسه يعرف بعض ما يجهله غيره، وكذلك العلماء في سائر مجالاتهم يختلفون عن غيرهم فيما يعلمون.

وقد فتح المجال أمام العقل لكي يصل فيه إلى أقصى درجة ممكنة والدين يحفز العقل في مضيه قدمًا نحو إدراك هذا النوع من الغيبيات واستكانهه ومعرفته، وآيات القرآن الكريم التي تحفز العقل الإنساني على السير في هذا الدرب أكثر من أن تحصى(١).

التقسيم الثاني للغيب: باعتبار الزمان وينقسم الغيب بهذا الاعتبار إلى ثلاثة أقسام:

أ- غيب الماضي كالأحداث التاريخية الماضية التي لم نشهدها، وكقصص الأنبياء وقصص الأمم الماضية، وهذا النوع يندرج تحت الغيب النسبي أو الإضافي لأنه وإن كان غيبًا في حق من جاء بعدهم فهو ليس بغيب في حق من عاصر هذه الأحداث ورآها ماثلة أمامه.

ب- غيب الحاضر ويندرج تحته أعمال الملائكة فيما يتصل بالإنسان من حفظ وكتابة لأعمالنا، وكذلك عالم الجن وما يدور به في الحاضر، إذ ستره الله –عز وجل- عنا: {إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ}.

وتحت هذا الصنف أيضًا ما يقع في عالمنا مما لا يقف عليه الإنسان، ولا يقع تحت حواسنا كالذي يجري في بلد آخر غير الذي نعيش فيه، أو بيت مجاور لا علم لي بما يدور فيه وهذا أيضًا من قبيل الغيب الإضافي أو النسبي.

ج- غيب المستقبل كالساعة مثلًا وهذا لا يقدر على معرفته وعلمه إلا الله – عز وجل- وكل ما يتصل به مما أخبر عنه الأنبياء فهو بإطلاع الله – تعالى- لهم عليه وليس استقلالًا منهم وهذا الصنف يندرج تحت الغيب المطلق.

وينقسم الغيب بهذا الاعتبار إلى قسمين:

(١) الإنسان والغيب د. حبيب الله ص ٧٦- ٧٧ بتصرف كبير.

أولًا: ما ورد في القرآن الكريم وإنكاره يوجب الكفر ويخرج من ملة الإسلام.

ثانيًا: ما ورد في السنة النبوية الشريفة فإن بلغ حد التواتر كفر منكره، وإن لم يبلغ فإن كان أحاديث آحاد فسق منكره ولم يكفر(١).

خامسًا: القرآن الكريم والغيب

وردت مادة ((غيب)) ومشتقاتها في القرآن الكريم في ستين موضعًا، ومنها ثلاث وأربعون موضعًا وردت مقترنة بالألف واللام ((الغيب))، وسبع مرات مجردة من الألف واللام منها مرة وردت فيها مضافة إلى ضمير الغائب ((غيبه)) كما وردت بصيغة الجمع ((الغيوب)) في أربع مواضع، وبصيغة اسم الفاعل المؤنث ((غائبة)) مرة واحدة، وبصيغة اسم الفاعل المجموع جمع مذكر سالم ((غائبين)) في ثلاث مواضع، وبصيغة اسم المكان ((غيابة)) في موضعين(٢) وذلك على النحو التالي:

قال تعالى:

{الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ}.

{قَالَ يَا آَدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ}[البقرة: ٣٣].

{ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ }[آل عمران: ٤٤].

{الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا }[النساء: ٣٤].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ }[المائدة: ٩٤].

---

(١) الإيمان والغيب، يسام سلامة ص٣٣- ٣٤ بتصرف.

(٢) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم محمد فؤاد عبد الباقي ط دار الحديث القاعري ط أولى ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م، ص ٦٤٣ – ٦٤٤.

{قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ }[الأنعام: ٥٠].

{وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ }[الأنعام: ٥٩].

{وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ }[الأنعام:٧٣].

{ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ }[الأعراف: ١٨٨].

{ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ }[التوبة: ٩٤].

{ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ }[التوبة: ١٠٥].

{ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ }[يونس: ٢٠].

{ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ }[يوسف: ١٠٢].

{وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ }[هود:١٢٣].

{ ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ }[يوسف: ٨١].

{ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ }[يوسف: ١٠٢].

{ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ }[الرعد: ٩].
{ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }[النحل: ٧٧].
{ يَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا }[الكهف:٢٢].
{ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا }[الكهف: ٢٦].
{ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا }[مريم:٦١].
{ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا }[مريم:٧٨].
{ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ }[الأنبياء: ٤٩].
{ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ }[المؤمنون:٩٢].
{ ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ }[السجدة: ٦].
{ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ}[سبأ: ٣].
{ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ }[سبأ: ١٤].
{ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ }[سبأ: ٤٨].
{ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ }[سبأ: ٥٣].
{ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ }[فاطر:١٨].
{ إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ }[فاطر: ٣٨].
{إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ } [يّس: ١١].

{قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ }[الزمر:٤٦].

{إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [الحجرات:٤٦].

{ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ }[ق: ٣٣].

{ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ }[الطور: ٤١].

{أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى }[النجم:٣٥].

{ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ }[الحديد:٢٥].

{ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ } [الحشر:٢٢].

{ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ }[الجمعة:٨].

{ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }[التغابن:١٨].

{ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ }[الملك:١٢].

{أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ}[الطور:٤١].

{ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا }[الجن:٢٦].

{وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ }[التكوير:٢٤].

ومن خلال وقوفنا على هذا الحصر فيما يتصل بذكره مادة ((غيب)) في القرآن الكريم يتبين لنا بجلاء مدى أهميتها والتي تبرز من خلال ذكرها في مواضع كثيرة، وبصيغ متعددة في كتاب الله –عز وجل– على نحو ما بيناه أنفًا.

ولقد سلك القرآن الكريم مسلكًا فريدًا في إثبات الغيب المطلق وإقامة الحجة على من ينكره، فنراه عند إثباته للغيب المطلق يبدأ الحديث عن جانب آخر من الغيب، وهو الغيب القابل لأن يكون شهادة فيبدأ به، ثم يثني بذكر القسم الثاني وهو الغيب المطلق الذي لا يقبل أن يكون شهادة أبدًا في إشارة واضحة إلى أن من أخبركم عن القسم الأول – الغيب القابل لأن يكون شهادة – وظهر صدقه فيما أخبر وعلى أيديكم

هو الذي أخبركم بما لم تعرفوه – الغيب المطلق – فصدقه فيما ظهر لكم دليل على صدقه فيما لم يظهر لكم، فالذي ظهر صدقه في بعض الغيب صادق في بعضه الآخر... وعلى العقل أن يقيس ما لم يعلم على ما علم.

وشواهد هذا المنهج القرآني في إثبات الغيب كثيرة نذكر منها:

أ- قوله تعالى: { وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤) ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ (١٦)}[سورة المؤمنون: ١٢-١٦].

فقد بدأت الآيات بالحديث عن مراحل الجنين وذلك غيب غير أنه قابل لأن يكون شهادة وقد كان... لتنتهي بالحديث عن غيب من نوع آخر لا يقبل أن يكون شهادة في حياة التكليف.

ب- قوله تعالى: {أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ (٦) وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٧) تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ (٨) وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ (٩) وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ (١٠) رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ (١١)}[سورة ق: ٦-١١].

جـ- قوله تعالى: {فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧) إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ (٨) يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ (٩) فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ (١٠) وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (١١) وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ (١٢) إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ (١٣) وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ (١٤) [سورة الطارق: ٥-١٤].

إلى غير ذلك من آي الذكر الحكيم التي تبرز هذا المنهج القرآني في إثبات الغيب المطلق.

والسنة النبوية سلكت المسلك ذاته في القضية فنزى النبي –صلى الله عليه وسلم– يحذو حذو القرآن فيتدرج من الحديث عن الغيب القابل لأن يكون شهادة إلى الحديث عن الغيب الذي لا يقبل أن يكون شهادة محاكيًا القرآن الكريم في مسلكه ذلك ومن الأحاديث التي تبرز ذلك المنهج النبوي قوله –صلى الله عليه وسلم–:

((إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمة أربعين يومًا، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقيٌ أو سعيد فوالله الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها)) (١).

فقد بدأ النبي –صلى الله عليه وسلم– حديثه بالكلام عن مراحل الجنين التي يمر بها وهي غيب قابل لأن يكون شهادة ولكن ما أنهى به النبي –صلى الله عليه وسلم– حديثه فإنه غيب مطلق لا يقبل أن يكون شهادة أبدًا مما يتصل بذكر نفخ الملك للروح، وما يكتبه الملك مما قدر للإنسان من عمل ورزق وأجل وخاتمة، فكل ذلك غيب مطلق لا يقبل أن يكون شهادة أبدًا(٢).

(١) الحديث أخرجه مسلم عن ابن مسعود كتاب القدر ٤٥١/٢.

(٢) الإنسان والغيب ٧٨– ٨٠ بتصرف كبير.

الفصل الثاني
(أثر الإيمان بالغيب على الفرد والمجتمع)

ويتضمن ما يلي:

أولًا: مفهوم الغيب الذي نعنيه.

ثانيًا: أثر الإيمان بالغيب على الفرد.

ثالثًا: أثر الإيمان بالغيب على المجتمع.

أولًا: مفهوم الغيب الذي نعنيه

والغيب الذي نعنيه في هذه البحث ونتحدث عنه وعن الأيمان به وثماره وآثاره إنما هو الإيمان بأن لهذا الكون إلهًا خالقًا، وأن وراء هذه الحياة الدنيا حياة أخرى بها بعث وحشر وحساب وجنة ونار.

وقد تحدث القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة عن هذا الغيب وعن وجوب الإيمان به، بل إن الحق سبحانه وتعالى جعل الإيمان بالغيب في مقدمة الأسباب التي لا بد من توافرها للاهتداء بالقرآن الكريم فنزى الحق – سبحانه وتعالى– يقول في صدر سورة البقرة:

{الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}.

فالإيمان بالغيب بهذا المعنى هو لب الإيمان وركنه الركين.

ثانيًا: أثر الإيمان بالغيب على الفرد.

أ– الإيمان بالغيب تكريم للإنسان:

الإنسان خليفة الله –عز وجل– في أرضه استخلفه ربه لعمارة الكون وسخر له ما في السماوات والأرض وميزه عن غيره من المخلوقات تكريمًا وتشريفًا على سائر المخلوقات.

ومن الأمور التي تعد مظهرًا من مظاهر تكريم الله – عز وجل– للإنسان وتفضيله على سائر المخلوقات الإيمان بالغيب، فالإيمان بالغيب يعد مفرق بين الإنسان والحيوان، وهو النقلة التي يجتازها الإنسان فيتجاوز مرحلة الحيوان الذي لا يدرك ما يقع عليه حسه إلى مرتبة الإنسان الذي يدرك أن الوجود أرحب من هذا الأفق الضيق

الذي تقع عليه حواسه وأن لهذا الوجود إلهًا خالقًا قادرًا عالمًا مريدًا، وأن لوجوده غاية لا بد من الانتهاء إليها في حياة أخرى بعد هذه الحياة وهذه النقلة لها من الأثر ما لها في تصور الإنسان لحقيقة وجوده وحقيقة الوجود كله ومكانته من هذا الوجود وغايته التي ينشدها ويعمل من أجلها (١).

ب- الإيمان بالغيب يحقق للإنسان السكينة والطمأنينة:

ومن آثار الإيمان بالغيب ما يستشعره ويحس به الإنسان من سكينة نفس وطمأنينة وهذه السكينة لا يدرك قيمتها إلا من حرمها ولا يستشعر لذتها إلا من ذاقها فمن ذاق عرف.

وإن نظرة فاحصة إلى الغرب المادي لتعطينا برهانًا ساطعًا ودليلًا دامغًا على هذا الأثر فالغرب بحضارته المادية الصرفة التي بلغت أوجها والتي استطاع معها أن يرقى إلى الفضاء إذا به ينحدر بروحانياته ووجدانه إلى الحضيض فلم تستطع هذه الحضارة أن تمنح أصحابها شيئًا من السكينة والطمأنينة الروحية لأنها عنيت بجانب واحد من مكونات الإنسان – وهو الجانب المادي وأغفلت جانبًا مهمًا وهو جانب الروح الذي يستمد غذاءه من محض الإيمان، فعاش أتباع هذه الحضارة في صراع نفسي بين رقيهم المادي الذي استطاعوا الوصول إليه وبين متطلباتهم الروحية التي عجزت حضارتهم المادية أن تمنحهم القدر الذي يحقق لهم السكينة والاطمئنان.

ومن ثم عاش أصاحب هذه الحضارات في خواء روحي كان من آثاره زيادة معدل الجريمة وكثرة حالات الانتحار، وقد ضرب لنا الحق – سبحانه وتعالى- في كتابه الكريم مثلًا لهذين الفريقين المؤمنين والكافرين وما يجده أصاحب الإيمان من سكينة، وما يشعر به الكفرة والملحدون من تمزق وشتات في صورة رجلين فقال سبحانه وتعالى:

{ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ }[الزمر: ٢٩].

(١) تفسير في ظلال القرآن الكريم لسيد قطب، ط دار الشروق ط الثالثة عشر ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م، جـ١، ص ٣٩- ٤٠.

جـ- الإيمان بالغيب حماية من الوهم والخرافة:

من أينع ثمار الإيمان بالغيب وآثاره أنه يحمي الإنسان من الوقوع فريسة للدجالين والمشعوذين، فبإدراك المسلم لحقيقة الغيب ومفهومه وإيمانه به إيماناً عميقًا يضع سدًّا منيعًا أمام من يحاولون استغلال ما جبلت عليه النفس البشرية من تشوف دائم ومستمر نحو المجهول، ومن كونها تتوق دائمًا إلى ما لم تشاهده فتحاول أن تتخيله وتتوهمه وتعيش فيه، فهذه من الأمور الفطرية في النفس البشرية ولا شك أن طبيعة الحياة الإنسانية بما فيها من خفايا وخبايا وجوانب عديدة للغيب تحيط بالإنسان من كل جانب فهو يجهل كثيرًا من الحقائق المتعلقة بذاته فضلًا عن هذا العالم المحيط به المليء بالمجاهيل التي تلفه وتحيط به من كل جانب.

كل ذلك يساعد في أحايين كثيرة في وقوع الإنسان فريسة للدجالين والمشعوذين الذين يزعمون أنهم يملكون مفاتيح الغيب وأنهم قادرون على قراءته واستكناه حقيقته، وما أكثر هؤلاء في هذا الزمان الذي كثر فيه من يحاولون تغييب عقول أبناء الأمة الإسلامية بجرها وإخراجها من الواقع الذي تعيشه إلى دروب من الأوهام والخرافات عن طريق الجن وعلاقته بالإنسان وحدود هذه العلاقة وطبيعتها وذلك غيب أبان الإسلام حقيقته وجلي أمره لكي يقطع الطريق على كل عابث ومشعوذ، فالإيمان بالغيب هو طوق النجاة للإنسانية، من براثن هؤلاء الدجالين والمشعوذين وأصحاب الخرافات (١).

د- الإيمان بالغيب يشرح صدر المؤمن به:

فالذي يؤمن بالغيب ممثلًا في الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر بما فيه من حشر ونشر وجنة ونار عن طريق الوحي، تراه أبعد ما يكون من أن يضيق صدره أو يعتوره ما يعتور الماديين من ضيق يفرضه عليهم تصورهم القاصر للحياة ((فالمؤمن بالغيب يكون تصوره واسعاً – سعة عالم الغيب بالنسبة لعالم الشهادة – وهذا يجعل صدره منشرحاً، فالإيمان بالغيب يؤثر على تصور الإنسان ويجعل هذا التصور للكون واسعاً)) (٢).

(١) انظر الإنسان والغيب ص ٧٤.

(٢) الإيمان بالغيب ص ٣٤ بتصرف.

هـ- الإيمان بالغيب يحفظ على الإنسان طاقاته فلا تبدد هباء:

ومن ثمار الإيمان بالغيب أن يقف الإنسان على حقيقة إمكاناته وقدراته فيسخرها ويستخدمها استخدامًا أمثل يعود عليه بالنفع، ولا يزج بنفسه في دروب معتمة وأودية مظلمة فيعود بعد عناء طويل وجهد جهيد بخفي حنين.

فالإيمان بالغيب يصون الطاقات الفكرية المحدودة المجال التي وهبها الإنسان عن التبدد والتمزق والانشغال بما لم تخلق له، وما لم توهب القدرة للإحاطة به، وما لا يجدي شيئًا أن تنفق فيه.

إن الطاقات التي وهبها الإنسان وهبها ليقوم بالخلافة في هذه الأرض فهي موكلة بهذه الحياة تنظر فيها وتتعمقها وتتقصاها وتعمل وتنتج وتنمي هذه الحياة، فأما محاولة إدراك ما وراء الواقع بالعقل المحدود الطاقة بحدود هذه الأرض والحياة عليها فهي محاولة فاشلة عابثة لأنها تستخدم أداة لم تخلق لرصد هذا المجال وتبدد طاقات العقل التي لم تخلق لمثل هذا [1].

ثالثًا: أثر الإيمان بالغيب على المجتمع.

أ- الإيمان بالغيب سبب من أسباب نجاة الأمة من الأزمات والضوائق الاقتصادية:

لا شك أن الاقتصاد هو عصب الحياة ولا يمكن أن ينكر أحد اليوم ما للاقتصاد من أهمية في بناء الأمم والمجتمعات ولعل ما يعيشه العالم في زماننا خير شاهد على ذلك، فالذي يملك اقتصادًا قويًّا يستطيع أن يوجد له مكانًا في المقدمة والصدارة، وأن يسمع له إذا قال، ويرهب جانبه إذا غضب وقد حاول القرآن الكريم مراراً أن يلفت أنظارنا إلى هذا الترابط بين الإيمان عمومًا والإيمان بالغيب خصوصاً وبين ما تجنيه الأمم من سعادة ورخاء يقول الحق سبحانه:{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آَمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}[الأعراف: آية ٩٦].

ويقول جل شأنه:{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آَمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٦٥) وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ

(١) تفسير في ظلال القرآن الكريم، جـ١، ص ٤٠ بتصرف.

لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ (٦٦)}[المائدة: آية ٦٥- ٦٦].

فالمجتمع المؤمن لن يوجد به سارق، ولن يوجد به آكل ربا، ولن يوجد آكل مال يتيم ولن يوجد به مانع زكاة ولن يوجد به مطفف لمكيال أو ميزان.

ولا شك أن هذه هي أهم الأمراض الفتاكة التي تفتك بجسد كثير من الأمم في زماننا لكونها لما تصل بعد إلى درجة عالية من الإيمان العميق بالله وسائر قضايا الغيب.

ب- المجتمع الذي يؤمن بالغيب مجتمع تسعد به البشرية:

المجتمع الذي يؤمن أفراده بأن لهم ربًّا وأنهم لا محالة موقوفون بين يديه ليجازيهم على أعمالهم، إن خيرًا فخير، وإن كان شرًّا فشر، مجتمع تسعد به البشرية فهو أمين عليها قادر على قيادة سفينتها إلى بر الأمان وشاطئ النجاة، لأنه مجتمع يتحاكم في معاملاته وصلاته بغيره من الأمم إلى مبادئ وأخلاق ثابتة، ومعايير واحدة لا تعرف الازدواجية أو الكيل بمكاييل متعددة حتى بما يحكم علاقات هذا المجتمع وصلاته بأعدى أعدائه.

وقد رأته البشرية في المسلمين الأوائل أنموذجاً رائعاً ضربته لهم الأمة المسلمة التي آمنت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبالدار الآخرة دار جزاء للمحسن والمسيء.

وحق على البشرية كلها في عصورنا المزهوة بحضارتها المادية أن تنصت في أدب جم إلى رسول الإسلام محمد -صلى الله عليه وسلم- وهو يقدم الوصية الأخيرة لجنده المتجهين للقاء فئة من الأعداء بغت فتجرأت على قتل رسول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو أمر يعد شائناً في الماضي والحاضر.

إن وصية رسول الله لجنده لتنبئ عن مقدار ما لحق بالإنسانية كلها من خسارة لا تعدلها خسارة يوم تخلف أتباع هذا النبي عن قيادتها، إنه يوصي جنده ((ألا يغدروا ولا يغيروا ولا يقتلوا وليداً ولا امرأة ولا كبيراً فانياً ولا منعزلاً بصومعته ولا يقطعوا نخلاً ولا شجراً ولا يهدموا بناء)) (١).

(١) الرحيق المختوم للمباركفوري، ط الجامعة السلفية الهند ص ٤٦.

إن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– حين يوصي جنده بهذه الوصية إنما يستمد مرجعيته من قول الحق سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}[المائدة: آية ٨]

فبمثل هذه المجتمعات النورانية تسير حياة الإنسانية دونما تعثر، فكلما كانت الأمم والمجتمعات على درجة من الإيمان بالغيب عالية كلما عمت السكينة والاستقرار ربوع الدنيا، وكلما طغت المادة ووهن أمر الإيمان، كلما عم الظلم والفجور فيصبح العالم غابة يأكل القوي فيها الضعيف، دونما خوف من وقفة حساب ولحظة عقاب.

ج– الإيمان بالغيب يدفع أفراد المجتمع إلى التحلي بكل كمال والنفرة من كل نقص:

ومن ثمار الإيمان بالغيب التي يعود خيرها على الفرد والمجتمع سواء بسواء شعور الإنسان أن عليه رقيباً، وأن هذا الرقيب لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، وأنه موقوف بين يديه، وأنه مجازى على كل صغير وكبير قدمه في حياته {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ }[الزلزلة: ٧–٨].

فكل هذه الأمور تدفعه دفعًا إلى أن يصرف تلك الطاقات التي صانها عن أن تبدد في البحث وراء الطبيعة فما يعود عليه وعلى مجتمعه بالنفع – فيكثر من الخيرات جهده ويبتعد على الشرور والموبقات وسعه، فنرى أفراده يتحلون بالصدق والأمانة والوفاء والرحمة والبر إلى غير ذلك من كريم الخلال والصفات التي يسعد بها مجتمعهم وترقى بها أمتهم.

خاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين ومن اهتدى بهديه واستن بسنته وسار على نهجه إلى يوم الدين.

وبعد،،،

فمن خلال هذه الوقفة بين يدي هذا البحث (الإيمان بالغيب وأثره على الفرد والمجتمع) يتبين لنا بجلاء مدى أهمية الإيمان بالغيب وأنه جزء لا يتجزأ من عقيدة المؤمن بل أهم أجزائها على الإطلاق كما تبين لنا أن الإيمان بالغيب سبب رئيس من أسباب سعادة الفرد والأمة ولقد استعرضنا أبرز هذه الأسباب تفصيلاً ونجملها فيما يلي:

أولًا: بالنسبة للفرد:

أ- الإيمان بالغيب تكريم للإنسان.

ب- الإيمان بالغيب يحقق للإنسان السكينة والطمأنينة.

جـ- الإيمان بالغيب حماية من الوهم والخرافة.

د- الإيمان بالغيب يشرح صدر المؤمن به.

هـ- الإيمان بالغيب يحفظ على الإنسان طاقاته فلا تبدد هباء.

ثانيًا: بالنسبة للمجتمع:

أ- الإيمان بالغيب سبب من أسباب نجاة الأمة من الأزمات والضوائق الاقتصادية.

ب- المجتمع الذي يؤمن بالغيب مجتمع تسعد به البشرية.

ج- الإيمان بالغيب يدفع أفراد المجتمع إلى التحلي بكل كمال، والنفرة من كل نقص.

وختاماً: نسأل الله تعالي أن يرزقنا إيماناً راسخاً يكون سبباً في سعادتنا في الدارين.

مصادر البحث

- القرآن الكريم.
- الإنسان والغيب تأليف د. حبيب حسن أحمد الأستاذ بكلية الدراسات الإسلامية، بدون ط.
- الإيمان بالغيب تأليف يسام سلامة، ط مكتبة المقار، ط أولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- الرحيق المختوم للمباركفوري، ط الجامعة السلفية الهند.
- الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم، ط دار الجبل بيروت، ط ثانية ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم محمد فؤاد عبد الباقي، ط دار الحديث، ط أولى ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.
- المفردات للراغب الأصفهاني.
- المواقف لعضد الدين الإيجي، ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط أولى ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
- تفسير القرطبي، ط دار الريان للتراث.
- شرح المقاصد لسعد الدين التفتازاني، ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط أولى ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.
- في ظلال القرآن الكريم لسيد قطب، ط دار الشروق، ط الثالثة عشر ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- لسان العرب لابن منظور.